## مارادونا.. حياة تشبه السينما بل أكثر إدهاشا

## أسطورة تركض خلف كرة وقدم تحرك العالم يمينا ويسارا

ماذا يعنى أن يغادرنا منذ أيام قليلة، دييغو أرماندو مارادونا؟ إنها كارثة لا تحل بالوسط الكروى فحسب، بل بحراس البهجة وعشاق الحياة. كيف لأيادي الأقدار أن تختطف ذلك الفتى الوسيم النشيط، ساحر الجماهير، قانص الفرص ومسحل الأهداف التي لا تقوى على تخيلها حتى أفلام الكرتون.

وطريقة ركضه وابتهاجه بعد تسجيل كل

سنسهر، بعدما اعتدنا أن نعلق طمأنينة

القلب، وخوفه، على قدميه المعجزتين؟

وإلى منْ نأنس ونتحمّس بعدما أدمنّاه

شُهرا تحوّلنا خلاله من مشاهدين إلى

عشاق؟ ولمن سنرفع صراخ الحماسة

والمتعبة ودبابيس البدم، بعدمها وجدنا

فيه بطلنا المنشود، وأجبح فينا عطش

الحاجة إلى بطل.. بطل نصفق له، ندعو

له بالنصر، نعلِّق له تميمة، ونخاف عليه –

مارادونا جعل من قدمیه أسطورة.. ليست أسطورة أوديب الإغريقية ذات

القدم الداميــة والذاهبة نحو أقدارها، بل

تلك الساقين التي جعلت من الأرجنتين، ثالث أكبر اقتصاد في أميركا اللاتينية،

بلدا بجلّه العالم ويقول له "شكرا لأنك بلد

حياة مارادونا، تنافست الأعمال الفنية،

ولكن البطولة تبقئ أبدا ودائما لمارادونا،

النذي يلعب أدوار التمثيل والإخراج،

أفراح وأحزان الأسطورة الأرجنتينية

لكرة القدم دييغو مارادونا من خلال فيلم

يحمل عنوانا باسمه، للمخرج البريطاني

أسيف كاباديا، عرض خارج المسابقة

الرسسمية. والفيلم عبارة عن رحلة سسفر

مفتوحة بين نجاحات وإخفاقات الساحر

الأرجنتيني وسقوطه في هاوية المخدرات

وغيرها مما يوصف بالأبشع. ويتضمن

الشسريط وثائق مصورة عن نجم نابولي

السابق نكتشفها لأول مرة في هذا العمل

كان من المنتظر من أسطورة كرة القدم

الأرجنتينية أن يمشي على السجادة

الحمراء في مهرجان كان على غرار نجوم

الفن السابع الذين يصلون إلى المدينة

الفرنسية الساحلية من جميع أنحاء

العالم، لكن تعذر عليه ذلك يسبيب إحرائه

عملية جراحية في الكتف ثم رحيله عن

التتويج وهو المحب للظهور بطريقة تليق

ب "دييغو" الفتى الذي روض الكرة بين

قدميه حتى صارت تستحيب له بالسليقة،

ويتواصل معها روحيا كساحر يخاطب

ويوجهها في شرقنا الأصيل

شــتى ملاعب العالم، رصــد ووثق وصوّر

أهدافه بدقة فيزيائي لا يشق له غبار،

طارده المجنون أمير كوســتاريكا، في

كيف لدييغو أن يغيب عن هذا

الدنيا.. يا لها من دراما كارثية.

أخيرا، عاش جمهور مهرجان كان

والرواية دون تكليف من أحد.

تهافتت الروايات والأفلام على توثيق

وعلى أملنا فيه - من الانكسار؟".

الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويـش، قـال "مـاذا نفّعل بعدمـا عاد مارادونا إلى أهله في الأرجنتين؟ مع منْ

هدف.. عفوا.. كل دهشية.



الـم يكن أحـد يظن أنه سـوف يموت... الأساطير لا تموت. استشعر غيابه الروائيون والسينمائيون وحتى مصمّمو البوسترات والأزياء الرياضية فأقاموا له "وليمـة" من الفرح والقول بـأن الفوتبول شيء كبير، يفوق ما لم نكن نتوقعه.

خلقه الله ساحرا منذ طفولته، مروضا للمستديرة.. بركلها ساعة بساقه اليسري التى وشلم عليها صلورة الزعيم الكوبي فيديل كاسترق، ولحظة استثنائية بيده اليمني أين يقع وشم مواطنه غيفارا، والتي سـجل بها هدفا ضـد إنجلترا في مُونديال 1986 بتحكيم التونسي على بنّ ناصر، الذي زاره في بيته منذ سنوات قليلة فأهداه صورة نادرة عن المباريات، وبادله مارادونا بقميص الأرجنتين ذي اللونين الأبيض والأزرق، وقال إنه يحب تونس والعرب.. على عكس ما يروج له بعض المغرضين وعشاق نظرية المؤامرة.

## أمة مارادونا

لم يكن مارادونا إلا "مارادونا"، الفتى الستريع الغاضب المشتاكس، صاحب الشعر الكثيف والنزق اللاتيني الثائر في نادي نابولي الإيطالي، ثـم زَّاد عليهُ في صداقته لكاسترو وجهره بالإخلاص لكَّافة الشـعوب التواقة للتحرر والسلام.. من منا يعرف رياضيا مسيّسا ومناصرا للشعوب المضطهدة غير مارادونا؟

"با ضفاف النيل ويا خضر الروابي.. هـل رأيتن فتـئ أسـمر الجبهـة كالنور المذاب".. مَن من سكان البسيطة لا يعرف "دييغو"، يســجل في كل مبــاراة هدفا في مرميي "الأعداء".. نعم، لقد جعل مارادونا مـن كل خصـم رياضي "عـدوا " في نظر عشاقه ومحبيه.. لذلكُ صار محبوهُ "أمّة

تنافس المحبون على حب الفتى الأرجنتيني، وأحبه الفقراء مثل بطل شعبي يقتلع لهم قوتهم من أفواه السباع

الذين لا يحبون الرياضة ولا يهتمون لها يقولون "إننا لا نعرف من الفوتبول



الذين يجهلون الأرجنتين يسألون "هل أن دييغو من الأرجنتين، وكذلك تشبى؟". الذين يتعاطفون مع كرة القدم

الإنجليزية "يغضون الطرف" عن ذلك الهدف الماكر الذي سيجله مارادونا بيده في تلك المباراة الغريبة في بلاد المكسيك

والذين أحبوا السينما واشتغلوا فيها، مثل المبدع أمير كوستاريكا، لم يفوتوا فرصة أن يختموا حياتهم السينمائية دون الحديث عن مارادونا،

أدهش العالم في شــريط لا يســتوعبه إلا الغجر الصاعدون إلىٰ السماء.. وقال للناس "انظروا ما تفعله كرة القدم إلىٰ جانب منتخب بلاده. بالشعوب". أجمل الأهداف ومثل أرنستو تشيى غيفارا، وهوسه بالانتصار لكل القوى المستضعفة، راهن دييغو على كل من يتوقع له الجميع بأنه سيخسر، ولم يتأخر كثيرا في منح البطولة لفريقه الجديد نادي نابولى الذي

كان بحمل سيجلا فارغا من الألقاب قبل التحاق مارادونا به. وانضمام "العبقري"

أنهم فرطوا في جوهرة كروية. فأي ناد يطمح لحصد الألقاب لا يمكن له التخلي عنهاً. لقد كان انتقاله في 1984 إلى نابولي بدايــة حقيقية له في التألق على العشــب الأخضــر الأوروبي في إيطاليا وبقية دول

الأرجنتيني له بوًاه مكانة خاصة ضمن الفرق الأوروبية الكبرى، إذ فاز معه في 1987 بالبطولة لأول مرة في تاريخ الفريق،

> بمونديال مكسيكو 1986. تهافتت على مارادونا جميع الكاميرات، وتنافست على تسجيل حلقات سينمائية وتلفزيونية محطات كثيرة، حتى أن "يوتيوب" انفرد ببث أحداث ووقائع جنازته في الأرجنتين.

بعد عام على ظفره، رفقة منتخب بلاده،

مارادونا أكبر من مجرد شخص يلعب الفوتبول.. إنه أسطورة تركض خلف كرة تقبّل قدميه، وأكثر حجما من رجل بدين في سنواته الأخيرة، يدخن السيجار الكوبي، يطوق عنقه بصليب مسيحي مثل كل مواطن لاتيني، وينفث دخانه في الأفق مثل فوضوي يساري شامخ وأصيل.

لكن هدا لم يمنع جمهور كان من التوافد بكثرة على صالة عرض فيلمه لمتابعة الشريط الوثائقي حول سيرته الذاتية للمخرج البريطاني من أصل هندي أسيف كاباديا، المعروف ببصمته الخاصة في مجال الأفلام الوثائقية بعد أعمال ســـابقة له، فاز بأحدها، وهو فيلم "إيمي" عـن المطربــة الراحلة إيمــي واينهاوس، بجائزة الأوسكار.

عاد الفيلم الذي عرض خارج المسابقة الرسمية في مهرجان كان، بمشاهديه المسار الكروي الناجح لنجم وسط الميدان الأرجنتيني سنوات الثمانينات، وتحديدا عندما انتقل من "بوكا جونيورز" إلى "برشــلونة" في عــام 1982، وهي الســنة نفسها التي لعب فيها مونديال إسبانيا

ولأن حياة مارادونا دراما حقيقية جاهزة ولا تحتاج إلى سيناريست، ولأنه شديد المناصرة للمستضعفين، لم يتأخر دييغو، كثيرا، في منح البطولة لفريقه الجديد في ثمانينات القرن الماضي نادي

لم يكن مســؤولو برشــلونة يعلمون

نتوقف عند هذا الفيلم في ما عرف ب"يد الله" إذ يسجل الفيلم بصراحة أخاذة، وفي دراما أسرة، خدعة مارادونا للحكم التونسي على بن ناصر، واستطاع تسبجيل هدف تاريخي بيده ضد المنتخب الإنجليزي في ربع نهائي كأس العالم بالمكسيك. كما سجل هدفًا ثانيا بعد أن راوغ مجموعة من اللاعبين بطريقة ساحرة. ويعتبر هذا الهدف حتى اليوم أجمل الأهداف التي عرفتها ميادين كرة القدم، وفق تعريف النقاد والمتخصصين. ومثل أي بطل ملحمي من أساطير الإغريق، لا بد مـن أخطاء قاتلة، وهفوات

مدمّـرة علـئ شـاكلة "كعب أخيـل" في حرب طروادة، فقد كشف الفيلم كنفّ أدى التصنت على هاتفه إلى ستقوطه في فخ الشرطة ليدخل في جحيم الملاحقات القضائية جراء تعاطيه المخدرات. وكان ذلك إعلانا مسيقا لنهاية أسطورة مارادونا على الملاعب الرياضية، وفق

الشسريط الذي يراه نقاد كثيرون منحازا

## رسالة سياسية

كثنف الفيلم دموع النجم الأرجنتيني السابق التى ذرفها أمام المشاهدين في إحدى المقابلات التلفزيونية عن أن الفتئ الساحر لنابولي كان يعانى نفسيا جراء سقوطه في الهاوية بسبب الأخطاء القاتلة التي ارتكبها، وكانت سببا في انطفاء نجمه على المربعات الخضراء. لكن هــذه الأخطاء لم تنتقــص من قيمته بوصفه لاعبا كبيرا حمل المتعة والفرجة بطريقة غير مسبوقة إلى ميادين كرة القدم، ويعتبره الكثيرون أفضل لاعب عرفته الملاعب في العالم على الإطلاق.

تسابق السينمائيون والتلفزيونيون على إخراج شخصية مارادونا، من مقاعد الانتظار، وتصويرها في محيطها الاجتماعي الداعي إلىٰ البكاء.. ولا شيء

خلق الله مارادونا كي يسجل الأهداف كما خلق مواطنه الروائي جورج أمادو، كي يكتب الروايات، وغيره من أبناء أمسركا اللاتينية.. إنهم خلقوا كي يرووا، كما وصف غابرييل غارسيا ماركيز،

الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش لـم يتخلُّ عن الرّكب المارادوني في ملحمة دييغو عام 1986، إذ يصف المباراة كمعلق رياضي بقوله "مارادونا يرسم علامة الصليب، يبوس الأرض. يقف، يُحاصرْ، يفلت كالصوت، يقطف الكرة، يحاصرُ. يمرر الكرة جاهزة على شكل هدية إلىٰ قدم زميل ساعده في فتح قلعة الدفاع، فيصوّبها الزميل الماهر في اتجاه المدى والجمهور.. مارادونا يصفق من الوجع".

ويسال الشاعر الفلسطيني في قصيدته المارادونية "ماذا فعلت بالساعة، ماذا صنعت بالمواعيد؟".

ولأن حياة مارادونا تشبه السينما، فقد أنتبه إليها المخرج الصربي الموهوب أمير كوستاريكا، الحائز على السعفة

الذهبية مرتين ىفىلميە "بابا فى رحلة عمل" 1985 و"تحت الأرض" 1995، وهو المصر الدائم علىٰ كشف ما تعانيه الشعوب المضطهدة، وحياة



الأفراد، التي تهددها علىٰ الدوام السلطات القمعية في هذه البلاد.

هـذه الأفكار نفسها التـ حملها مارادونــا حينمــا شــارك فــى موكــب الاحتجاج ضد زيارة الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش للأرجنتين عام 2005، بمصاحبة الرئيس الفنزويلي تشافيز، المعسروف بموقفه الصدامسي والمعسادي للسياسة الأميركية.

أضاء كوستاريكا جوانب كثيرة في حياة مارادونا، إنسانياً وثورياً بفيلمة التسجيلي الأول، والندي عرض في مهرجان كان السينمائي سنة 2008، فهو رسالة سياسية تمزج بين نهج كوستاريكا وسلوك مارادونا إزاء القوى العظمى .. لقد "وافق شن طبقة" كما تقول العرب، ذلك أن

وداعا أبها المبهج الذى يشبهنا نحن الفقراء الحالمون.. وداعا يا أجمل من عرفه القرنان العشرون والحادى والعشرون



بقوله "الذين يتفننـون في الضحك عُليَّ رى العقول، وكل ازدادت أرصدتهم في البنوك.. هل لدينا الجرأة أن نثور على هـؤلاء، وألا نجعل أي قداســة إلا للحقيقة، وننــأى بعقولنا عن الفضائيات، التي تكرّس لنا السلطة وممثليها، وتساعد في جعلنا مجرد قطيع هُش الروح، نسيير وراء سياسي فاسد، أو رجل دين أفسد، من دون أنّ ننسئ مواجهة أنفسنا بعيوبنا في المقام مارادونا أسطورة تجري خلف

علىٰ الرجلين أن يلتقيا.. وكان اللقاء في

فيلم توثيقي أخاذ، يعد من أجمل ما صُوّر

وفى الفيلم الذي حمل توقيع المخرج

اللامع أمير كوستاريكا، لم يخجل

مارادونا من أن يتحدث عن هفواته،

وعيوبه الشخصية، والفترات القاسية

التي مـرّت به وقت معاناتـه مع الإدمان،

وتأثير ذلك عليه وعلى أسرته، وندمه

الشديد على ضياع الوقت، من دون أن

يرى ويستمتع بأبوته، ويبنى تفاصيلها

الدومية، ككل الآباء الآخرين، ويغفر

له وقوفه أمام نفسه، من دون مواربة،

ويعلق الكاتب والناقد الفلسطيني

محمد عبدالرحيم، بقوله في هذا المنحي

"ربما بعد هذا الفيلم نرى أن كرة القدم

ليست مجرد لعبة شعبية، رغم ما تشغله

من اهتمام بين الناس، كما قد تتغيّر

وجهـة نظر لاعب الكرة نفسـه في مهمته

الحياتية، وقدره في كونه لاعتب كرة،

فالفيلم رسالة سياسية واجتماعية في

المقام الأول، ويُجسد بوعى عميق، بدون

عبارات رنانة جوفاء، نجد صداها لدى

الكثير من السياسيين ورجال الدين

ويستدرك الكاتب الفلسطيني

وقيل ودُوّن عن مارادونا.

ومعرفة ماذا يريد.

والمناضلين الزائفين".

كرة، ورجل يشع البهجة أينما حل، لذلك تهافتت وتسابقت على نجوميته جميع وسائل الإعلام، فلقد قررت منصة "أمازون" منذ عامين تخليد قصة حياته فى مسلسل تليفزيوني. وكان من المقرر عرضه خلال العام الجاري ولكن توقفت عملية تصوير المسلسل بسبب أزمة فايروس كورونا المستجد. ومن المقرر أن يتم استكمال تصوير المسلسل خلال الشبهور القادمة لعرضه في شهر أكتوبر من العام القادم.

مارادونا.. لا يستطيع أيّ كاتب - ومهما ادعى حياديته - أن يتمالك نفسه

إزاء التأثر بهذا الرحيل.. وداعا أبها المبهج الذي ىشىھنا نحن الفقراء الحالمون.. وداعا يا أحمل من عرف القرن العشرون، وكذلك الحادي والعشرون، على ما



يساري شامخ وأصيل